نسمات الأدب
رياض الخواطر
فيدوح مريم نور اليقين
"أنثى الحروف"
تصميم : همس الجنة

رياض الخواطر

فيدوح مريم نور اليقين

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب: رياض الخواطر

المؤلف: فيدوح مريم نور اليقين

غلاف الكتاب: همس الجنة

موك اب الكتاب: عزة كمال

تنسيق داخلي: آية سحير

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الإهداء

ما مصير الأزهار في هذا الخريف و هل الربيع تقلد بطولة زائفة.....؟!

إلى بنفسج خواطري القديمة ولدت على مصقلة التجربة الأولية فما كتب لها أن تتفتح في ربيع التأليف الزاهر، أهديك هذا العمل كتعزية متأخرة ....

"أنا لا أكتب لأنسى، أنا أكتب لأتذكر.....عجيب أن يكون للمرء ذاكرة قابلة للطي"

أما قبل:

مذ مدة وجيزة اكتشفت أن لا لائق لي سوى التخفي بطريقة راقية في مملكة من ورق...

وأن أبث بوحي نحو الورق بصمت أبكي ورقا.... أسعد ورقا .... أتحسر ورقا.... أرتعب ورقا.

من الغريب أن يكون للشخص مشاعراً قابلة للطي....!

أعترف أني مصابة برهبة الظهور وهذا ليس غريباً على شخص يتخيل الكاميرا بندقية .... والمصور قناص.

إني بشفافية أصدقكم أن لا راحة لي في البوح أميل للعزلة الكتابية في جو مقدس هادئ أضواء خافتة... صوت صفير ريح مرتقب وزينة بسيطة منوعة الألوان وشمعدان بلون الفضة يتربع على عرش المكتب.... وأوراق هنا و هناك تتناثر في الأرجاء بعضها لأفكار

مجهضة لم يك لها حظ لتولد و البعض الآخر لم يكتمل و أخرى تمت لترتحل لمصف الكتابات المقبولة المحببة جو قداسي بامتياز و كأني أقيم صلاة في محراب الكتابة ....فاصرفوا عني هذه الأثقال إنها منهكة لشخص فقد لسانه من فمه ليعوض بآخر في يده شخص يستثقل رد التحية و لا يستثقل التلويح معلنا التحية .

أنثى الحروف

"عجيب أن يكون للمرء ذاكرة قابلة للطي و التمزيق"

الزهرة الأولى:

أقنعة من ورق

أتحجب بيداي الهاذيتين، راسمة خبط العبث العشواء، أخبئ صوتي بين كراكيبي الكتابية أخفي حدة الكآبة بابتسامة عيناي.

لا أجرؤ على الحديث حين تخضعني نزوات الخيبة، أحترف الكتمان وأجهل البوح.

تأخرت كثيرا عن موعد لقائي بالنسيان فولدت أحلامي من جديد، أدرك أن التعب سيكون ملازمي في طريق تحقيقها فأنا منذ الأزل البعيد على خصام مع رفاهية الفشل، أنا التناقض العريق وابنة الأقطاب المتعاكسة....

أملك فما لكن في يدي، فمًا يوشم حبره على الورق في هيئة بوح كتابي، أتقاسم

ميـــراث الأســـرار مـــع الكتابـــة فـــي ســـهرة ليليـــة طويلـــة.... ســـكر بشـــراب الإلهـــام علـــى وقع نغمات الأوراق المتطايرة ،ثم ماذا؟!

ثـــم أحمـــل حقيبتـــي الورقيـــة المثقلـــة بالأمتعـــة الفكرية متجهة نحو مطار الحلم القريب.

ثمـــة ومـــيض مـــا يلـــوح فـــي أفـــق يظهـــر حينـــا ويختفـــي أحيانـــا، ومـــيض أمـــل قـــادم، لونـــه أحمـــر مصـــفر أقـــرب للـــون الغـــروب لكنـــه بهيئة شروق جديد.

أفـــرد جنـــاحي بعـــد كـــل وقعـــة... أتفحصـــهما بنظـــرات ســـريعة لأتأكـــد أن لا كســـر بهمـــا فقـــط بعـــض مـــن الـــريش المفقـــود بعـــد كـــل تجربة في ميدان الكتابة.

أعـــرف الخدعـــة مثلمـــا أعـــرف الحقيقـــة وكلاهمـــا يعرفـــانني لأتخاصـــم مـــع الخدعـــة

تخاصـــما أقـــرب لتخاصـــم المـــرء مـــع الواقـــع السـائد ... فلـــون حبـــري لا يتـــداخل مـــع ألـــوان الخديعـــة الكتابيـــة المســـودة علـــى لوحة الحياة .

***

الزهرة الثانية:

المحاربة القوية

معـــك لا نســـتيقظ بحلـــول الفجـــر بـــل نســـتيقظ علـــى وقـــع صـــوتك ونســـيم اســـتيقاظك، معـــك تخلق الصباحات من عدم.....

النـــاس يـــا أمـــاه يســـتيقظون مـــن فراشـــهم كلمـــا انـــتفض الضـــوء واحتـــل الغـــرف مـــن شـــقوف النوافـــذ، لكـــن عـــداك أنـــت يـــنفض الضـــوء هربـــا بحضـــورها فلـــيس هنـــاك داع لضـــوئين فـــي مكـــان واحـــد، قـــد يبـــدو تعبيـــري هـــذا كمـــروج إشـــهاري لماركـــة جديـــدة للامبـــات الإنـــارة! لكنـــه عمـــق الشـــعور وصـــدق الإحســـاس فـــلا ضـــياء يخفـــي نـــورك في مقلتاي وروحي.

أما قبل:

"بـــودي لـــو أســـأل الأمكنـــة أهـــي تحفـــظ ذكـــراك ؟! ....فـــلا يلبـــث غيابـــك إلا ســـاعات

قليلـــــة ....إلا أن المكـــــان يطـــــرح مســـــألة غيابـــــك و يشـــــكل خيالاتـــــك فـــــي المنـــــزل بـــــودي لـــــو أســـــأل الأفرشـــــة هـــــل تحـــــتفظ برائحتـــــك و الجـــــدران هـــــل تخـــــط كلماتـــــك و تخبـــــئ صـــــداها لتعكســـــه يومـــــا .....و هـــــل المطـــــبخ يتلـــــذّذ بمـــــا تحضـــــره يـــــداك و القـــــدر القـــــديم المحظـــــوظ بملمـــــس يمنـــــاك الحنونـــــة كيف هو شعوره؟!

بـــودّي لـــو أســـأل قلبـــي عـــن هـــذا الحـــب غيـــر المعـــاب و لا القـــائم علـــى مصـــالح ذاتيـــة، أمـــا عـــن التضـــحيات الجســـام التـــي قـــدمتها تتبعثـــر هنـــا وهنـــاك فـــي صـــميم ذاكرتـــي لتخط صورة المحاربة القوية " أمي ".

****

الزهرة الثالثة:

بيادق حرب التضحية الأزلية

لعبة الشطرنج تصور جانبا من الحياة الأليم أو لنقول قانون الغاب الحياتي، فهي لا تبهرني بقدر ما تحزنني، فالبيادق يضحى بها ليعيش الملك و إنتهاء حياتها في تلك الرقعة غير مهم و غير مكترث له.

تكتمل اللعبة مع خروج كل بيدق فبالرغم من أنهم الحصن المنيع وخط الدفاع الأول إلا أنهم في الوقت ذاته الطعم المضحى به يعني حضورهم مهم و غيابهم لا يضر...

أتأمل بإنكسار سحب روح كل بيدق على حدة، تارة أبيض وتارة أسود بينما المتعة واللعبة الحياتية مستمرة ليعيش الملك نعم، ليعيش الملك!

الزهرة الرابعة:

تخمر زمني

تـــأخرت والـــدتي فـــي إنجـــابي، ظلـــت تغـــزل جســـدي بمغـــزل العمـــر الطويـــل وتحـــدد حوافـــه بدقـــة حـــداد، لـــيس لشـــيء غيـــر أن تفصيله أخذ وقتا...

وبعـــدها أورثتنـــي أنفـــا شـــامخا لا ينحنـــي ويـــدين نـــاعمتين مـــن صـــلب الكفـــاح وأرضـــعتني بـــدل اللـــبن حكمـــة مـــن الفصـــل الأخير للتجربة...

أمـــي ســـكبت فـــي عينـــاي بـــن الأمـــل؛ فجئـــت بعـــد أنثـــى بخمـــس ســـنوات متـــأخرة علـــى غرار "انثتين وذكر" قبلها ....

صـــرختي للحيـــاة كانـــت الصـــرخة الأولـــى و الأخيـــرة كبطـــل مثـــالي فـــي أســـطورة يونانيـــة فأضـــحيت كـــل مســـاء أعـــود بجيـــب فكـــري ممتلئ، و كفي تلتحف الشمس قفازا.

أجـــر ظلـــي خلفـــي لكنـــه لا بأســـود ولا بشـــفاف بـــل رمـــادي خافـــت خفيـــف الوطـــأة دائم الحضور من وحي الطبيعة...

أمـــي تـــأخرت فـــي نســـجي علـــى ســـياق قولها:

"مـــا تطـــول مـــدة نســـجه يصـــعب إتلافـــه بسهولة "

****

الزهرة الخامسة:

تناقضات

يأسرني الفراغ وتوجعني فكرة أنني تلبسته واستعمرني قبل أن أستعمره، يذهلني النقص الذي يسكننا كبشر وأنبذه حين يتعلق الأمر بالمشاعر تدهشني المسافات الطويلة وتؤلمني فكرة أنها قطعتني دون وعي منها، يعجبني الصمت ويثقل كاهلي في الآن ذاته، تسحرني النجاة وتؤرقني فكرة أن تكون فخا آخر من فخاخ الحياة...

يطمئنني الحذر وتفزعني فكرة أن يكون ظلما في حق مواقف لم يتوجب علي فيها الحذر...

يدهشني القرار الحاسم و تؤرقني فكرة ندم قد يكون مؤجلا، أعشق الأفكار و تعذبني جنونيتها المتمردة خلف أسوار

الإلهـــام المجهـــض يبهرنـــي اللـــون الأبـــيض و تحزننـــي فكـــرة أن الكفـــن هـــو الآخـــر أبيض...

يـــذهلني الخطـــأ وتربكنـــي فكـــرة أن لا عـــودة بعـــده... منغمســـة فـــي اليقـــين ويحيرنـــي كيـف يطيـر فـي كـل مـرة بـدفعات مـن ريـاح الشك.

أحتـــرف الإبتســـامة و ترعبنـــي فكـــرة أنـــي فرغـــت مـــن دمـــع يليـــق بحـــزن أنيـــق و أنـــي تناســـيت دوري التراجيـــدي فـــي خشـــبة الحيـــاة، أحـــب الحيـــاة بمرهـــا و حلوهـــا لأنـــي متيقنـــة أنهـــا فانيـــة، فـــنحن معلقـــون بحبـــل القـــدر علـــى مشـــنقة الوقـــت ليـــأتي يومنـــا جميعـــا فتســـحب كراســـي الحيـــاة مـــن تحتنـــا لتلتحفنا الأكفان.

الزهرة السادسة:

خناجر وحناجر

بين السنابل والقنابل مسافة اخضرار

وبين الإختيار والقرار مسافة قناعة.....

وبين الفرح والقرح مسافة نقطة إضافية

وبين الحرب والحب مسافة حرف.....

وبين الأوهام والأحلام مسافة واقع

وبين العواطف والعواصف مسافة مشاعر

وبين الألم والأمل مسافة تعاكسات حرفية.....

وبين الرماد والضماد مسافة نجاة...

وبين الحياة والموت مسافة شهقة...

وبين الحناجر والخناجر مسافة صرخة

وبيننا وبين فلسطين مسافة قومية مغيبة

****

الزهرة السابعة:

شيء دون الحب يا فتاة...!

اكتبي عن شيء دون الحب ماذا ستختارين؟

لكتبت عن المسافات التي نظن أننا نقطعها فنجد أنها من فعلت، لكتبت عن أثقال الروح لا الجسد وعن جدران غرفة شهدت انكساراتنا وانهزاماتنا الخفية.

لكتبت عن الطرقات دون نهاية، لا نحصد منها الأجوبة بل مزيدًا من الأسئلة...

لكتبت عن مشاعر غارقة في جب الأماني المستحيلة...

لكتبت عن مجازر يرتكبها الوقت في حق الذكريات دون محاكمة...

لكتبت عن التاريخ، ووضعت خطا فاصلا بينه وبين التلفيق الملاحظ...

لكتبت عن الحروب الداخلية التي لا يعرف عنها أحد...

لكتبت عن الغصص التي أتلفت الأحبال الصوتية فما استطاع المرء طلب النجدة....

لكتبت عن الحقيقة الملثمة بأقمشة الجهل الواهي والجهل المقنع بوجه الحقيقة...

لكن وجدت في الأخير أن كل ما سنكتبه سيكون مبنيا على الحب، فالمسافات نقطعها لأجل الهدف الذي نحبه، الأثقال نحملها جراء فقدان ما نحبه، الطرقات التي لا تعرف نهاية أغلبها طرق إلى ما نحبه، التاريخ لأن لنا وطناً عربياً نحبه، الحروب الداخلية بيننا وبين ما نحبه و

الحقيقة هي ما نحبه والجهل يخفي ما نحبه خلف أقنعته الواهية.

فالحب ليس الشعور المعاش المعروف بمصطلحات غرامية، الحب أكبر من هذا بكثير، أكبر من أن يتقوقع في اناء النبذ، الحب حب الخير وحب العائلة والأصدقاء وحب الإحسان، حب الإنسان لأخيه الإنسان، حب الأحلام والأماني، حب الأوطان، حب الدين والنسب واللغة...

اكتبي عن شيء سوى الحب... لكن يا فتاة الكتابة في أصلها فعل متولد عن حب!

****

الزهرة الثامنة:

على قيد الذاكرة

بـــالأمس حـــين كنـــت فـــي الحافلـــة، بمحـــاذاتي كـــان طفـــل صـــغير مـــع والديـــه، صـــوته و هـــو يتحـــدث بعفويـــة و الســـعادة البادية عليـــه أســـقطت علـــي ذكـــرى قـــد جـــاوزت ســـبعة عشـــر عامـــاً أي بالضـــبط حـــين كنـــت فـــي حـــدود الرابعـــة مـــن عمـــري، تـــذكرت الماضـــي البعيـــد بكافـــة تفاصـــيله، مـــا ذكرتـــه أننـــي كنـــت بشـــعر قصـــير أســـود غـــامق أجلـــس بـــين أمـــي و أبـــي فـــي صـــيف ذلـــك العـــام أرتـــدي قميصـــا أزرق ســـماوي صـــيفي وألتفـــت فـــي وجـــوه الركـــاب بفضـــول لمعرفـــة كل شخص هناك وأطرح عدة أسئلة:

من بينها: لم الشجر يتحرك معنا؟!

كان الجواب من والداي:

-تريد التجوال هي أيضا

أو بالعامية:

"حتى هيا باغية تحوس "

وغيرهـــا مـــن الأجوبـــة العفويـــة قبـــل أن نفهـــم التفســـيرات المجـــردة العلميـــة، لـــم تكـــن الرحلـــة أو الجولـــة الوحيـــدة مـــع والـــداي لكـــن اعتبرتهـــا الجولـــة الوحيـــدة المميـــزة التـــي انفـــردت فيهـــا بهمـــا دون إخـــوتي ودون أي طفـــل آخـــر مـــن العائلـــة، الغريـــب فـــي الأمـــر حتـــى الألعـــاب التـــي اقتنوهـــا لـــي يومهـــا تـــذكرتها، ســـهوت لفتـــرة طويلـــة أســـتلذ حـــلاوة الـــذكرى وتمـــدد ثغـــري رغمـــا عنـــي ليبســـم هـــو، وبعـــد جـــولتي الصـــغيرة في غمار الذاكرة القديمة.

أعـــادني لـــواقعي صـــوت أمـــي خلفـــي و هـــي تقول:

-لقد وصلنا هيا لنمضي على بركة الله.

وهـذا الموقـف جعلنـي أعـدل مقولـة كتبتهـا سـابقا: "الـذاكرة هـي لغـة الإنسـان الأبدية"

لأقول:

"الـذاكرة قـد تكـون المـلاذ الطفـولي الـدافئ للإنسـان فـي حـرب النضـج الحيـاتي كمـا قـد تكـون لغـة المـرء الأبديـة، والأشـقى أن تكون كليهما معا "

****

الزهرة التاسعة:

علمتني القهوة

علمتنـــي أن الاهتمـــام المفـــرط يقابلـــه جفـــاً تـــام فمـــثلا إن وضـــعتها فـــوق النـــار وراقبتهـــا لـــن تجهـــز لكـــن مـــا إن تـــدر وجهـــك ولـــو لجزء من الثانية تجهز...

علمتنـــي أن أضـــيف لكـــوب حيـــاتي ســـكر التقـــدير الـــذاتي وإن لـــم يكـــن أشـــربها سادة...

علمتنـــي مـــثلا أن بعـــض الأمـــور المـــرة تجعلنا أكثر فطنة ...

علمتنـــي القهـــوة أنـــه حـــين تـــنجح وتكـــون بســـيادتك يلازمـــك الآخـــرون فالنـــاس معظمهـــم مصـــالح كالحليـــب الـــذي يلازمهـــا لكونها أكثر شعبوية...

علمتنـــي أن يكـــون حماســـي للحلـــم ســـاخن مثلها لكن دون أن يبرد ....

أخيرا أقول:

"مـــا أشـــهى لحظـــات المطالعـــة مـــع كـــوب ساخن من القهوة وكتاب."

****

الزهرة العاشرة:

على شرفات الماضى حكاية

بينمـــا أســـدل النهـــار ســـتاره وفـــتح الليـــل نوافـــذه، طلـــت علـــيَّ طفـــولتي الهرمـــة شـــوقا مـــن زجاجـــة ذاكرتـــي، كـــان لصـــرير الأرجوحـــة نصـــيب مـــن مصـــيبتي الليليـــة كالرعـــد دوى فـــي قـــاع أذنـــاي... تلـــك الأرجوحـــة ذاتهـــا التـــي صـــنعناها معـــا يـــا رفيقـــة الـــذاكرة والبـــراءة، أرجوحـــة أقمناهـــا مـــن حبـــال الحـــب الطفـــولي ومـــن خشـــب ضـــحكاتنا الحلـــوة... تُـــرك ذلـــك البيـــت وغادرنـــا العمـــارة، أمـــا الشـــوارع التـــي كنـــا نقطعهـــا جريـــاً بخطواتنـــا الصـــغيرة أضـــحت تذبحني اليوم وحدي حين أعبرها.

يـــا غـــاليتي قفـــز الجميـــع مـــن شـــرفة رأســـي انتحـــاراً اختياريـــاً فأنـــت تـــدركين أنـــي لا أطرد أحداً عزَّ عليه البقاء...

أمـــا عنـــك فرفضـــت القفـــز و اختـــرت أن تبقي سجينة ذاكرتي للأبد .

خـــذي وقتـــك هنـــاك فـــذاك بيتـــك الأبـــدي، أتـــذكر يـــوم الـــوداع مثلمـــا أتـــذكر إســـمي كانـــت الســـاعة الواحـــدة زوالا مـــن صـــيف 2014 بالضـــبط أواخـــر شـــهر جويليـــة، الجـــو كـــان حارقـــا فـــي الخـــارج كحرقـــة قلبـــي لفراقـــك لحظتهـــا ، أخـــذت مـــن بـــين يـــداي "صـــدفة" وأخبرتنـــي مازحـــة لتخففـــي وطـــأة الفـــراق أنـــك ستتصـــلين بـــي عـــن طريقهـــا، كنـــا صـــغارا أعلـــم لكـــن الحيـــاة التـــي عشـــناها وقتهـــا كانـــت أكبـــر منـــا بســـنين، فكمـــا تـــرين أحـــاول تنظيـــف فصـــول ذاكرتـــي مـــن الغبـــار ورمـــاد الأيـــام التـــي ولـــت، لا تفهمينـــي خطـــأ فأكيـــد أننـــي لـــن أنتزعـــك مـــن ذاكرتـــي بـــل

على العكس سأنظف الذكرى لتعود جديدة كما كانت سابقاً خوفاً عليها من النسيان في رفوف العقل اللاواعي و خوفا من أن يضيع اسمك مني يوما كما ضاعت مني أسماء كثيرة في رحلة الحياة الطويلة...

هذا أوان جيد: لمقاطعة سرد الذكرى القديمة والاكتفاء بصورة ملامح غائبة قد لا تُشبع شراهة شوقي لكنها تخفف حدته.

"إلى صداقة قديمة فرقتنا الأيام ولم تفرقنا الذكرى... إليك غاليتي نورة"

أحس وكأننا تفارقنا بالأمس رغم مرور عشر سنوات من الفراق...

****

الزهرة الحادية عشر:

غواية الفكرة

غوايــةُ الفكــرة المتمــردة أيقظــت فــي عقلــي أسئلة بينما هي قد غفت!

فلـــم أســـتطع حيـــازة جاذبيـــة الوســـادة واكتفيت بجاذبية الأرق.

غوايـــة الحلـــم المنتظـــر أردفتنـــي ضـــحية للســـهر كعادتهـــا، فأنـــا هنـــا أحملـــق فـــي ســـقف غرفتـــي بينمـــا الظـــلام يبتلـــع المكـــان بمـــا فيـــه، إلا أنـــي رغمـــا عنـــه أرى نـــور حلمـــي أراه بعيـــدا أو بـــالأحرى يخيـــل لـــي أنـــي أراه وأســـتمتع بســـهرة ليليـــة برفقـــة الأمـــاني فـــي حضـــرة الانتظـــار استحضـــارا لعبق الحلم الجميل.

يا حلمي!

كـــل هوســـي بـــات يكمـــل فـــي الســـفر إليـــك كغيمـــة ســـابحة فـــي كبـــد الســـماء تنتظـــر

الغيمـــة الأخـــرى لتصـــطدم بهـــا فتمطـــر، يـــا حلمـــي المنتظـــر أشـــتهي الرحيـــل نحـــوك رغم أني لا أشتهي السفر ...

غوايـــة الحلـــم المنتظـــر تلـــوح لـــي خلـــف شـــبابيك غرفتـــي الموصـــدة بعـــد أن ســـرقت لباقـــة المطـــر وتعطـــرت بعطـــر الريـــاح الموســـمية وتزينـــت بكحـــل القمـــر وأطلـــت علـــي تـــدعوني للســـفر لكـــن لا تـــذاكر بحـــوزتي لـــذا ســـأمارس الصـــبر ريثمـــا يتســـنى لـــي شـــراء تـــذاكر للســـفر نحـــو أرض الحلم المنتظر.

****

الزهرة الثانية عشر:

فتاة على قارعة المرآة

على مرآتي فتاة تشبهني، يحتل التعب واجهة وجهها ويتمسك اليأس بأطراف فستانها وكأنه طفلها المدلل، كانت العقارب تشير إلى يوم طويل لا تاريخ له، بدأ بجملة وسينتهي بخاطرة على سطح مكتبي...

على مرآتي فتاة تشبهني لكنها لا تستأذن ولا تدق باب المرآة ولا تدير مقبضها الزجاجي، ولا تتحدث حتى، بكماء صماء تأبى الاستجابة، أدرك أنها شبيهتي تمسك بالنور المنعكس بيدين خاليتين من أساور البوح .....

تشبهني لحد بعيد تبتسم للغريب لي وتغازل فرحة الأطفال للطفلة التي بداخلي...

يفصل بيني وبينها قالب زجاجي، حاولت معانقتها لكن لم أستطع .....

الفتاة لا تزال تبتسم إبتسامة جامدة؛ أدرك أنها حزينة لكنها عصية البوح تضع قناع الفرحة دوما وتمشي بخيالاتها على خارطة الحياة من خلف المرآة.

أتابع مراقبة الفتاة بعينين جاحظتين وهي تمرغ خطواتها في أرضية السعي.

يبدو جليا أنها تحاول بجد من لطخات حبر التجارب الفاشلة العالقة بأطراف ثوب أملها الورقي ....

أدرك أنها تحاول بجهد مستميت فجديلتها من محاولات كتابية أقرأ جليا

بـــدايات خاطريـــة لـــم يكـــن مـــن حظهـــا التمام...

أراقـــب الفتـــاة فـــي كـــل يـــوم وألحـــظ أنهـــا تصـــغر لا تكبـــر، فـــلا شـــك بأنهـــا تشـــرب مـــن الإكســـــير المضـــــاد للتعـــــداد العمـــــري المتعـــارف عليـــه أو ربمـــا الحيـــاة فـــي المـــرآة عكس الحياة الواقعية...

لا شـــك أنهـــا تحتـــاج عمـــرا أطـــول مـــن اليـــأس لتصـــــل للحلـــــم بجســـــد كامـــــل لا بأشـــــلاء متناثرة...

فـــــي مرآتـــــي فتـــــاة تشـــــبهني... أدركـــــت متأخرة أنها أنا.

****

الزهرة الثالثة عشر:

فلسفة صباحية

سألت نفسي ذات صباح، أسئلة لا أدرك إجابتها أو ربما هي لا تحمل إجابات خلقت فرادى لا توأم لها!

هل يقطع الشطر الأيمن للقمر كحد له؟ فهو لا ينفك عن سرقة ضوء الشمس حتى يخدع العالم بجمال أساسه نورها متخفيا خلف حقيقته المظلمة؟

هل سينتزع الغراب ثوب العزاء أم أنه مذ الأزل يقيم عزاء على روح الغراب الأولى التي جاورت قبر هابيل...؟!

هل سيخون الخوف من القادم ساعات السعادة ويؤجل الموعد؟!

أم هل سيصيب زهايمر التجاوز ذاكرتنا لتنعم بلحظات الحاضر دون الالتصاق بماض رحل عنا ولم يرحل منا؟!

سألت نفسي ذات صباح أسئلة أدرك أن لا إجابة لها، هذا باديهي لأني مصابة بداء صرع الفضول كأن أمي أرضعتني التفلسف بدل اللبن...

مثلا لِم لا أكف عن إشعال سجائر أقلامي تحت الماء؟!

وكيف أتخلص من إدمان الحزن الكتابي وأنا من تفرط في تعاطيه؟!

هل يمكن للكاتب أن يكتب إن كان بلا ذاكرة وإن كان الجواب الجزئي لا. إذن الذاكرة هي التي تستحق لقب الكاتب لا هو؟!

تحاصرني هكذا أسئلة مع كل صباح و كأنها تحية الكون لي فبدل صباح الخير يخاطبني ب:

-ماذا ....؟ لم... ؟ هل... ؟

وأنـــتم هـــل تحاصـــركم أســـئلة كهـــذه مـــع كـــل صباح أم تكتفون بصباح الخير؟

أتـــرون! حتـــى فـــي ســـؤالي الأخيـــر مـــا انفـــك الفضول عني والتصق بي ....

****

"خيبة فلسطين ستبقى موشومة في جسدنا العربي
كندوب عار لن تختفي"

الزهرة الرابعة عشر:

فلسطين أكتبك حزناً

"خيبة فلسطين ستبقى موشومة في جسدنا العربي كندوب عار لن تختفي"

هذه العبارة لطالما ترددت على مسمعي ليحتلني حزن ووهن فلا أجد مفرا من ذلك سوى الدعاء لهم كأضعف الإيمان أو ربما كآخر ملاذ يحمي ضميري الإنساني من التهالك، ففي كل زاوية من زوايا فلسطيننا الجريحة يمتزج الدم مع نسمات الحرية المتمردة رغم أنوف الكثير...

في كل زاوية تغفو الشجاعة على صدر التضحية وتزف في كل يوم أسدا في عرس شهادة...

في كل زاوية يقبع الأمل في الانتصار القريب، أما في زواياانا نحن يتردد صدى

الخـــذلان والـــوهن والضـــعف، تعـــداد مـــا يفـــوق مليـــار عـــاجز عـــن تحريـــك يـــد مســـاعدة لأخـــت تغتصـــب، أمـــا عنـــك يـــا فلســـطين وطـــن عصـــي النســـيان وطـــن علـــى قيـــد الـــذاكرة، أمـــا عنـــك وطـــن لا يمـــوت ولا يخضـــع، وطـــن تتعـــالى فيـــه زغاريـــد الشـــهادة ودمـــاء الشـــهامة وأصـــوات الصـــمود... حتـــى زيتونـــك أكثـــر منـــا صـــمودا وأعمق كرامة.

بـــل حتـــى طيـــورك لا يتقنـــون الزقزقـــة كبـــاقي الطيـــور بـــل يبـــدعون فـــي إنشـــاد أغنيـــة الحريـــة كـــل فجـــر، ويغنـــون للـــوطن كـــل مساء.

فلســـطين يـــا أرض الســـلام التـــي لـــم تشـــهد الســـلام بعـــد، فلســـطين يـــا حكايـــة العشـــق

الأبدي على مر الأيام، يا من تنبضين في قلوب الملايين، وتضرمين في أرجاء الوطن الأمل كل حين، فلسطين يا رمز الكرامة والإقدام والشهامة والسلام ستظل رايات نصرك عالية ترفرف في سماء الحرية كأنها طيور يمام.

الأبيض عنوان سلام والأسود عنوان الإستثناء والتميز والأخضر زيتونة نصر والأحمر دم الشهيد فرحم الله الشهداء أجمعين وأثلج قلوب ذويهم وألهمهم الصبر والسلوان وقذف في أصلابنا شهامة ماتت فينا مذ أمد بعيد...

****

الزهرة الخامسة عشر:

لو لم أكن إنساناً... لكنت!

لـــو لـــم أكـــن إنســـاناً لـــوددت أن أكـــون لهفـــة البـــدايات والخـــواتيم الســـعيدة فـــي الروايـــات واليـــد التـــي تـــداعب تجاعيـــد الجـــدات، أن أكـــــون الأمـــــان للمخـــــذولين أو حضـــــناً للمقهورين وجبرا للمكسورين...

لربمـــا وددت أن أكـــون فـــي فصـــل الخريـــف آخـــر ورقـــة وفيـــة لشـــجرة فقـــدت كـــل وريقاتهـــا وخيـــالاً يطبطـــب بســـابته علـــى المنكمشـــين فـــي وحـــدتهم وربيعـــا لمـــن تعودوا على صقيع الآلام...

لربمـــا رجـــوت أن أكـــون قبـــرا يضـــم جثمـــان الشهيد أو صخرة تلتحف دمه الطاهر...

لـــو لـــم أكـــن إنســـاناً لرجـــوت أن أكـــون طـــائرةً ورقيـــــةً فـــــوق أرض فلســـــطين أو شـــــجرة

زيتـــون صـــامدة أو برتقالـــةً مشـــبَّعة بشـــمس يافا أو سترة صوفية لأطفال الخيَّم .

لـــو لـــم أكـــن إنســـاناً لرغبـــت فـــي أن أكـــون رســـــالةً مشـــــبعةً بمعـــــالم الحنـــــين والاشتياق...

لـــوددت أن أكـــون إبتســـامة فـــي الوجـــوه البائســـة أو أغنيـــة لفيـــروز، أو غفـــوة بـــين الحلـــم والواقـــع، لـــوددت أن أكـــون معلقـــة عنتـــرة لعبلـــة أو قلمـــاً بيـــد الرافعـــي أو ســـالومي فـــي قلـــب نيتشـــه ولربمـــا لقـــاء بـــين مي وجبران.

لـــو لـــم أكـــن إنســـانا لـــوددت أن أكـــون كـــل شـــيء جميـــل يـــبهج القلـــب المنهـــك مـــن خطوب الأيام.

****

الزهرة السادسة عشر:

ماذا لو؟

ماذا لو كان كل شيء في العالم يتحدث مثلنا من جماد وحيوان؟!

لأصبنا بالصمم، من فرط الأوجاع المسموعة مثلا كرسي يئن من ثقل الأجساد وجدار يبكي لفرط الخدوش التي ترتسم على واجهته وبحر ينتفض لفرط الهموم التي تحكى له وقلوب تتكسر لفرط الخيبات التي عايشتها وذاكرة تصرخ لفرط الآلام التي احتبستها وعيون تمطر دمعاً يرافقه رعد الوجع وقطة تشكو عن ولد كسر رجلها أو سيارة دهستها وأرواح أطفال فلسطين تدوي في السماء وتتصاعد فتهتز الأرض لما عايشوه ولا زالوا يعايشونه من حرمان ومجاعة وظلم

وسجن وقتل وحرق، ومساجد تصدح داعيةً المسلمون " قالبا لا قلبا " لدخول غمارها ومصاحف تدعو القارئ الذي هجرها وهواتف ترتحل ملا من أياد تمادت في معانقتها .

من جانب آخر سيسمع المرء كل نوايا غيره فمنهم من ستتمتن روابطهم أكثر ومنهم من تنكسر روابط كانت تجمعهم، سيسمع الآخر إجابة الآخر في الفصل فيعجزون عن برمجة امتحان لكل فصل دراسي كما يعجز الأستاذ عن سؤال طلبته في المحاضرة لأن سؤاله في الأصل سيُسمع من حديث عقله الصاخب، بل المحاضرة في حد ذاتها ستسمع... كما ستنتشر ظاهرة سرقة

الأفكـــار، أيضـــا لـــن يركـــز الفـــرد فـــي المطالعـــة فيشـــاركه فـــي المطالعـــة الكتـــاب ذاته الذي يطالعه بصوت جاهر قوي.

أمـــا مـــن الجانـــب المشـــرق، لســـلم النـــاس مـــن شـــرور النـــاس التـــي تـــود الإطاحـــة بهـــم ولصـــادق الفـــرد أشـــياءه واكتفـــى بهـــا شـــراكة، ويختفـــي مفـــرد العزلـــة مـــن قـــاموس الحيـــاة ويعوضـــه الأمـــل والآمـــان وأنس الذات بالذات.

****

الزهرة السابعة عشر:

مدينة الكتابة وشارع المجاز!

أنـــا فتـــاة لا تنـــام كثيـــرا، أضـــع فقـــط جســـدي علـــى الفـــراش لكـــن بمخيلتـــي أقفـــز فـــي فضـــاءات الغرفـــة أصـــول وأجـــول مرحـــا، أتنـــزه فـــي بســـتان الكلمـــات وأتقاســـم مـــا حملـــت مـــن مؤونـــة أدبيـــة مـــع كائنـــاتي الحبرية...

أمـــارس الحـــب فـــي مملكـــة الكتابـــة مـــع شخصـــيات لا تملـــك أجســـادا فقـــط خيـــالات تتطاول على الورق...

ربمـــا مصـــابة بهـــذيان الإبـــداع أو بنزلـــة القلـــم، لا أعـــرف لكـــن أدرك يقينـــا أنـــه لا مضاد لهما...

وحـــين أحـــزن أشـــعل حطـــب الحـــروف المتآكلـــة بفتيـــل الالهـــام المســـتعر، ليســـخن

قلبي ويغادر الصقيع إلى مثواه الأخير مع آخر نقطة في الخاطرة....

بعدها أكنس الفوضى العارمة: "من أفكار مجهضة وأخرى مستبعدة محمولة على واجهة أكوام من ورق والقصاصات المتناثرة في شاكلة خواطر قاصرة لم تكتمل أو لا نهاية تناسبها..."

حين أجوع أحضر فطيرة ورقية مفروشة بشكولا الحركات الذائبة...

وإذا سأل أحدكم عن عنواني، فهو في مدينة الكتابة في آخر شارع المجاز في البيت السابع يكتسي لون الغموض والإستعارة ...

أقيم حفلا راقصاً في ردهة البيت الواسعة، المعازيم فيه من كلمات

وحـــــروف وأدوات تنقـــــيط لكـــــن علامـــــة الاســـتفهام دومـــا تـــذهلنا بطلتهـــا المتميـــزة ليطلـــب منهـــا الجـــواب رقصـــة علـــى أنغـــام التفكير العقلي المتناسق.

****

الزهرة الثامنة عشر:

يوماً ما

يومًـــا مـــا... ســـندرك قيمـــة التعـــب ونـــدرك متعة البحث عن أشيائنا الضائعة ...

يومًـــا مـــا ســـندرك أن البيـــوت الصـــامتة موحشـــة... ســـنبحث عـــن بقايـــا البســـكويت فـــي الأرض ونرســـم خيـــالات أطفـــال فـــي مخيلاتنا ونلعن الفراغ المقيت...

يومًـــا مـــا سنشـــتاق لطعـــم اللعـــب فـــي الظهيـــرة ومتعـــة تمثيـــل النـــوم عنـــد الضـــرورة وللعفويـــة المطلقـــة والمشـــاعر الحرة.

يومًـــا مـــا، ســـنحن لمعزوفـــة الصـــحون المنكســـرة ولضـــحكات الأطفـــال المنســـلة من حبل الحياة.

يومًا ما سنشتاق لزمن الذكريات الراحلة ونقرع باب الجيران في مخيلتنا هاربين من النضج القاتل.

يومًا ما سنحن لصوت الأجداد وللشجارات الصبيانية التي افتعلناها وللألعاب المنتشرة هنا وهناك، سنفهم يومها أنها لم تكن فوضى بل كانت زينة للحياة.

يومًا ما ستنهض الأمهات باحثات عن أطفال قد فطمهم القدر عنوة فلم يشبعوا من لبن البراءة...

يومًا ما سنشتاق للمطر وهو يغسلنا وسنرقص أسفله سعداء و نلحق بالطائرة جريا مرددين:

"طائرة طائرة... بظن منا أنهم يروننا"

يومًـــا مـــا ونحـــن نقلـــب ألبـــوم الـــذكريات سـنبحث عـــن ملامحنـــا القديمـــة، أصـــدقاء قدماء وحياة بسيطة .

يومًا ما سنستمر بطرح أسئلتنا التافهة:

"مـــن يعمـــل داخـــل التلفـــاز؟ أهـــم لا يجوعـــون ولا ينـــامون؟ لمـــا الغـــراب يرتـــدي ثوبـــه الأســـود دائمـــا أهـــو فـــي جنـــازة دائمـــة! لمـــا "أربعـــة" بخمـــس حـــروف و "خمســـة " بأربع حروف؟"

يومهـــا فقـــط ســـندرك أن الفوضـــى التـــي كانـــت تجتـــاح المكـــان حـــين كنـــا صـــغاراً بـــل كانـــت الحيـــاة التـــي وجـــب علينـــا أن نعيشـــها كما يجب.

لكـــن فـــي يـــوم مـــا كنـــا كبـــارًا جـــاوزهم قطـــار الحياة.

الزهرة الأخيرة:

جنائز مؤجلة

ماذا لنا من الدنيا؟!

أ أسماء... تكتب على شواهد القبور؟

أم جسد سيتآكل في جوفها؟

ماذا لنا أَ عمر فاني أم صحة زائلة؟!

أَ فـــراش نـــاعم وثيـــر مـــن تـــراب أم دار واسعة لا تتسع سوى لكفن واحد؟!

أَ حسن سيشيب... أم شموخ سينحني؟!

مـــاذا لنـــا مـــن الـــدنيا، أَ أحبـــاب وخـــلان يدفنون معنا؟!

ســـنموت ونتـــدثر بتـــراب خلقنـــا منـــه ونتلحـــف ظلمتـــه ثـــم مـــاذا؟! ثـــم يمـــر الجميـــع بقبرنـــا يقفـــون كالأعمـــدة علـــى رأس القبـــر يتلون الفاتحة ويرحلون.

بعضـــهم يعـــود فـــي اليـــوم المـــوالي يســـقي التربـــة حتـــى لا تتصـــلب وإن كـــان الأمـــران

سيان فلا الماء سيروي الظمأ يومها ولا انعدامه سيزيد عطشنا....

سيتركون بعض دموعهم خلفهم على شاهد القبر، ربما كانوا مسرعين، ربما كانوا على عجلة لتراكم مشاغلهم حياتية يسعون لإتمامها...

قد يعودون في كل عيد ليعايدونا وقد لا يعودون، قد يأتوننا بباقات من الورود يزينون بها واجهة القبر، قد يحنون لذكرانا في اليوم المصادف لعيد ميلادنا أو ربما المصادف لذكرى وفاتنا، كما قد لا يفعلون...

قد يتذكرونا بدعوة بعد كل صلاة وربما لا...!

سيكتب على الشاهد:

"كمـــا جئـــت وحيـــدا للـــدنيا ســـترحل منهـــا وحيـــدا بعضـــك فـــي أثـــر بعـــض حـــاملاً أعمالك زاداً ليوم الميعاد ..."

فـــلا الشـــاهد ســـيحمل أكثـــر مـــن إســـم ولا الحســـاب ســـيكون مشـــتركا، هـــل ســـيحتاج المـــرء حينهـــا لدمعـــة أو لشـــفقة أو لمـــال أو ثياب أو لجمعة بين الصحب والخلان؟!

أكيـــد لـــن يحتـــاج ســـوى لـــدعوة صـــادقة وعمـــل حســـن قـــام بـــه وحســـنات جاريـــة تضـــاف لرصـــيده ولا تنقطـــع بانقطاعـــه حياتـــه، ببســـاطة لـــن يحتـــاج لا لجـــاه ولا لرزق ولا لترف.

هـــي فلســـفة الحيـــاة هكـــذا، خلقـــت وحيـــدا وســـترحل وحيـــدا وتحاســـب وحيـــدا، فهـــذه نهاية حالنا... فرشنا التراب.

فأحسنوا جمع بضائعكم لأنها سترد لكم في هيئة جزاء.

****

ختاماً أقول:

"وإن كنت لا أدعي المثالية والكمال، إلا أنني لا أصافح بقبضة باردة ولا أقدم وداً زائفاً أو خديعةً ملثمةً بطيبةٍ كاذبةٍ...

لا أنطق حديثاً منمقاً في باطنه سم قصد ولا أُلفةً مخلوطةً بشرٍ كامنٍ...

لم أستخدم يدي لتصفع أو تطعن بقدر ما استخدمتها لتُكرم وتُعين، ولا انتظرت زلة غيري لأشمت، لا أقترب بنيةٍ واخزةٍ وخيرٍ ناقصٍ...

فأنا لا أرَ في التلاعب سوى وجهه القبيح، وجه لا يليق بكل أصيل"

فنصيحتي لكم أعزائي القراء:

"تذكروا دوما أن الله يكرم عبده بقدر الخير الذي يقدمه ويتمناه لغير فأكرموا

لتُكرمـــوا وأَعينـــوا لتُعـــانوا... واســـتروا لتُستروا... وكونوا خيراً لتجزوا خيراً"

ختامهـــا مســـك مـــع أحلـــى كـــلام الســـلام، سلامٌ بيننا إلى حين لقاء ورقي آخر.

الكاتبة نور اليقين